حين خانت الطفولة وعدها

أسماء جيلي

تصميم أماني مراد

نسمات الأدب

حين خانت الطفولة وعدها

أسماء جيل

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب: حين خانت الطفولة وعدها

المؤلف: أسماء جيلي

غلاف الكتاب: أماني مراد

موك اب الكتاب: همس الجنة

تنسيق داخلي: وسيم الزهري

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

"الإهداء"

إلى كل قلبٍ طُعن من حيث كان يظن النجاة.

إلى من عرف الخذلان في لحظة كان يرجو فيها الحنان.

إلى من جُرحت روحه من أقرب الناس فانهار ثم نهض.

إلى كل فتاةٍ استودعت روحها لصديقة، فردّت الصداقة بخنجر في الظلّ، وسُمٍّ في الحلوى.

هذه حكايتي، وربما حكايَتُكِ، فلتكن هذه الصفحات مرآة نجاةٍ، ودليلَ شفاءٍ لمن ظنّ أن النهاية هي السقوط.

*****

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

"المقدمة"

قد نظنّ أحيانًا أن الطفولة حصنٌ لا يُخترق، وأن من شاركونا البدايات، سيبقون لنا حتى النهايات، لكنّ الحياة لا تسير كما نحلم دائمًا.

هذه قصة صداقةٍ وُلدت من البراءة، وترعرعت في ظلّ الطموحات والأسرار ثمّ اغتيلت خلسةً من حيث لم يتوقّع القلبُ الطيب، هي حكاية "وفاء" التي لم تحفظ الوعد، وحكاية "أنا" التي تمسّكت بالنقاء حتى في وجه الغدر.

هي قصة مرضٍ بدأ من شوكولاتة مسمومة وامتدّ حتى عمق الروح لكنها أيضًا قصةُ شفاء، وقصة عودةٍ أقوى مما كانت، أنقى مما مضى.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

هنا لن تقرأوا فقط خيانة صديقة بل ولادة امرأة من رمادها، صارت قدوة بعد أن كادت تكون ضحية، وصارت "سفيرة الإيجابية" بعد أن كادت تُدفن حية.

لكل من ظنّ أن الخذلان نهاية، هذه الصفحات تقول: بل هو بداية

*****

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الجزء الأول

"صداقة تشبه الحلم"

منذ أن وعيتُ على هذا العالم، لم أعرف للأنس طعمًا إلا حين دخلت وفاء إلى حياتي، كانت جارتنا لكن في قلبي كانت أكثر من أخت، جمعتنا الطفولة ببراءتها وضحكاتها، بلعبنا المشترك، وبخطواتنا الصغيرة على الأرصفة القديمة، وباللقيمات التي نتقاسمها كأننا لا نملك إلا قلبًا واحدًا

وفاء، كانت فتاة هادئة الطباع، رزينة الحديث، نقية السريرة تخاف الله، وتتحرّى الخير في كل تصرفاتها وكانت مؤدبة، مهذبة، رقيقة كنسمة ربيع، وصادقة كطفلة لم تعرف بعد طريق

الكذب. كنا نسهر معًا حتى الفجر، ننسج من الأحلام ما يشبه القصص الخيالية، نتحدث عن مستقبلورديّ، عن قصة حب طاهرة تنتظر كلًّا منا، عن بيت صغير وابتسامات صافية لا يعكرها شيء.

كنا نحلم أن نصبح سيدتي أعمال، نحقق النجاحات، ونردّ لوالدينا بعضًا من جميلهم رغم صرامتهم وخوفهم الزائد علينا ولم نكن نملك صديقات أخريات، لأن أغلب من عرفناهنّ كنّ مجرد علاقات مصلحة.

ذاق كلٌّ منا طعم الخذلان، وتعلمنا أن نضع أسرارنا في قلبينا فقط، لا نُخرجها إلا لبعضنا البعض و رسمنا رموز

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

صداقتنا في دفاتر الدراسة، وكتبنا "أنا ووفاء ضد العالم".

كان الخوف من أهلنا ظلًّا يرافقنا، لكننا كنا نؤمن أن مستقبلًا أجمل ينتظرنا، كنا نحلم كثيرًا، وربما كنا نحلم أكثر مما ينبغي، ضحكنا، بكينا، شكونا لبعضنا البعض، وآمنّا أن صداقتنا أقوى من الزمن.

لم نكن نعلم أن الزمن يعرف كيف يتسلل بصمت، وأن المحبة الزائدة إن لم تُروَ بتوازن تتحوّل إلى وجع، وأن أقرب القلوب قد تكون أول من يطعنك حين يتبدّل الدرب

*****

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الجزء الثانى

"بداية التغيّر"

كبرنـــا وأدركنـــا أن الحيـــاة ليســـت بـــذلك البيـــاض الـــذي لطالمـــا رســـمناه فـــي خيالنـــا الطفـــولي، لكـــل واحـــدة منّـــا صـــارت لهـــا حكايـــة، وصـــار لكـــل حكايـــة وجعهـــا الخـــاص، وهمّهـــا الـــذي لا يُـــروى و بـــدأت ملامـــح الطفولـــة تتلاشـــى، وملامـــح امـــرأةٍ يرهقهـــا التفكيـــر تُولـــد فينـــا بصـــمت، تبـــدّلت طباعنـــا، تغيّـــرت أخـــلاق، وتلاشـــت خصـــال، ومـــن العـــدم خُلقـــت بيننـــا فجـــوة خفيـــة، لا يُرى عمقها لكنها تُشعر القلب بالبرد.

صـــارت لـــي صـــديقة أخـــرى وكـــذلك هـــي، لـــم نعـــد نحكـــي كمـــا كنـــا، ولـــم تعـــد أحاديثنـــا تســـهر حتـــى الفجـــر، انشـــغلنا، ابتعـــدنا،

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وتـــدريجيًا صـــار بيننـــا جـــدار مـــن صـــمت ودخـــل الحـــب حياتنـــا، فتغيـــر كـــل شـــيء، أصـــبحت الغيـــرة ضـــيفًا ثقـــيلًا يتســـلل بيننـــا، وصـــار الحســـد كابوسًـــا نخـــاف أن يســـرق فرحتنـــا، كنـــت دائمًـــا أتســـاءل: لمـــاذا تغيرت؟ ماذا فعلت لها؟

كنـــت أراقـــب تصـــرفاتها وتقلباتهـــا، أحـــاول أن أفهـــم، أن أســـتوعب، أن أُصـــلح مـــا يمكـــن إصـــلاحه، لكنهـــا كانـــت تقـــول لـــي بصوت خافت:

-"لـــم يتغيـــر شـــيء، مازلنـــا صـــديقتين، مازلنا كالأخوات."

غيـــر أن قلبـــي كـــان يـــرى الحقيقـــة فـــي عينيهـــا، ويشـــعر بـــالخوف فـــي ابتســـامتها. مـــرّ عـــام ثـــم آخـــر، تراكمـــت المســـافات لكننـــا

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لم نفترق كأن العلاقة كانت تصرّ على البقاء رغم كل الانهيارات لكن الفجوة بيننا كبرت وكبرت، أصبحت أحنّ إلى زمن مضى لا يعود، أحنّ إلى "وفاء" التي كنت أراها ملاذًا، لا لغزًا.

*****

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

'حين خانت الطفولة وعدها وبَكَت بداية التغيّر'

كَبِرْنَا ولم يكبرْ بنا ذاكَ الحنينُ

وضاعَ الوعدُ ما بينَ السكونِ والأنينِ

تواعدنا على دربِ الوفاءِ، صغارَ قلبٍ

فخانتْنا الخطى، واختارَ دربَ الشاكرينِ

كأنّ العمرَ لم يمهَلْ صداقتنا قليلًا

كأنّ البُعدَ خُطَّ بسيفِ وقتٍ مُرهقينِ

أنا من كنتُ أحفظُ سرَّ قلبكِ عن جميعٍ

فصرتُ الغريبَ في عينَيكِ لا من العابرينِ

تشاركنا الدُّمى والحُلمَ والضحكاتِ يومًا

فمن ذا الآنَ يقتلُ ضحكتَينا بالسكينِ؟

لقد كانت "وفاءُ" أمانَ قلبي، فاستفاقت

وغابتْ خلفَ ألفِ ستارِ وهمٍ مستكينِ

تغيرنا، أجل، والدربُ أجهضَ ألفَ وعدٍ

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وصارتْ فجوةُ الكلماتِ أوسعَ من سنينِ

تحاشينا الكلامَ، وظلَّ صمتٌ بينَنا

يُعلّقُ في الجدارِ علامةَ المُتخاذلينِ

تبدلنا، نعم، وغدا الوفاءُ هو الضحيّة

ومن خانَ الطفولةَ، خانَنا بينَ العيونِ

*****

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الجزء الثالث

"قناع الوفاء سقط"

في أيام الثانوية كنا ما نزال نظن أن الصداقة تحمي من كل شر، وأن التشابه يجمع الأرواح لا يفرقها.

كنا نرتدي ذات الألوان باختيارها لا اختياري، وكان يروق لي أن أُرضيها، لا لضعفٍ فيّ بل لأنني أحببتها حدّ التضحية الصغيرة والكبيرة معًا، كنت أفعل ما تحب، أُسكت رغبتي إن تعارضت مع رغبتها وأترك لها حرية أن تختار أين نجلس، وأين نضحك، وأين نصمت، كانت تحب أن أكون لها وحدها، تكره أن يراني أحد سواها، تختار أماكن

خالية لا يشاركها فيها أحد وكأنها كانت تبني حولي جدارًا، لا حمايةً بل امتلاكًا.

وحين أعلنتُ يومًا حلمي أن أصبح كاتبة، أنني أكتب خواطر كل صباح، وأملك طموحًا أن أكون روائية يومًا ما، ضحكت وقالت:

-"حتى أنا أكتب "

رغم أنها كانت ضعيفة في التعبير، لا تتقن تشكيل جملة تحمل معنى، لكنني لم أجرحها بل شجّعتها، دعمتها، كتبت لها خواطر باسمها، ورأيت في تقليدها نوعًا من الحب أو هكذا ظننت، كنت أظن أننا توأم الروح وأنها لا تسرقني بل تُماثلني، حتى جاء اليوم الذي استفقت فيه من

وهمي ورأيت أن ما ظننته حبًا لم يكن سوى هوس.

كانت ترفض أشخاصًا يقتربون مني، تحرضني على الابتعاد عنهم رغم أنهم لم يؤذوني، وحين رفضتُ ذلك بدأت تخطط، كان يوم ثلاثاء، مساءً خريفيًا باردًا، قدّمت لي علبة من الشوكولاطة، بابتسامة غريبة لم أعتدها منها، قالت:

-"أكليها الآن، ضروري."

لم أشك لحظة، هي أختي أو هكذا كنت أراها، أكلت منها، وبعد أيام تغيّرت دقات قلبي، تعبٌ مفاجئ، ضيقٌ في التنفس، وإرهاقٌ لا تفسير له، تدهورت صحتي وابتعدت عن الدراسة، زميلاتي جئن يزرنني، لكن وفاء صديقة عمري لم

تسأل، لم تحضر، لم تكتب، لم تبكِ، كنت على شفا الموت وكل ما تمنّيته أن أراها، أن تأتي، تمسك بيدي، تهمس لي أننا سنعود كما كنا، لكنها حين جاءت، جاءت باردة لا حياة في ملامحها، لا دمعة، لا حنين كأنني غريبة أو أقل، ومضت دون أن تترك لي حتى سلامًا.

وبعدها بأيام جاءها ندمٌ مفاجئ أو ربما خوف وقالت لأمي:

-"وضعت سحرًا في الشوكولاطة هو سبب مرضها." انكشفت الحقيقة، وسقط قناع الوفاء، وفهمت أن من تمنّيت لها الخير، تمنّت لي الوجع، ومن تقاسمت معها طفولتي حاولت أن تُنهي شبابي.

*****

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الجزء الرابع

"العودة من الموت"

عدتُ، لا كما كنت بل كما يُولد الإنسان من رحم الوجع، كنت أجرُّ جسدًا بلا روح، أنظر للحياة بعينٍ خاوية وأتساءل:

-كيف لطعنة أن تأتي من يدٍ اعتقدتها حضنًا؟ كيف لوفاءٍ أن تنزع قلبك من صدرك وتمنحه لمن أحببت أنت بصِدق؟

وجدتُها معه، مع من كنت أظنه أقرب البشر لروحي، لم تكن مجرد خيانة، كانت ارتطامًا بجدار الصدمة، ارتطامًا جعلني أتفتّت في صمت، لم أسأل، لم أعاتب، رفعت خيبتي في قلبي كما تُرفع راية استسلام لكنني لم أستسلم، في تلك

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الليلة وعدت نفسي وعدًا لا تراجع فيه: سأنهض، سأكون، سأصنع من وجعي جناحين وأحلق.

وحقًا عدت إلى دراستي، نجحت رغم التعب، وقفت على قدميّ حين ظنّ الجميع أنني انتهيت، بدأت أحقق أحلامي، وبعضها الآن في طريقي

صرت أخاف من الناس حتى من الأقرب، عدت لا أتناول شيئًا يُهدى إليّ، أشكّ في النية الطيبة، وأتريث قبل أن أؤمن. تغيرت نظرتي للناس، لم أعد أثق سريعًا، ولم أعد أمنح قلبي بسهولة.

الخذلان الأول علّمني أن أكثر ما يؤلم هو حين تخذلك يد ظننتها لن تتركك أبدًا، كبرتُ فجأة ونضجتُ من دون أن أطلب

ذلك، وكل جرحٍ منحني درسًا، وكل دمعةٍ كانت غرسًا في حقل القوة و صارت الحياة مدرستي، والصمت أصدق معلمي، والألم أكثر من كتب لي على جدار القلب: "انهضي."

عدت، وعدت أقوى، عدت وأنا أحمل قلبي بيدي، أحميه من كل طعنة محتملة، وجدت نفسي محاطة بأشخاص جدد، وجوه تحبني بصدق، تدعمني، تؤمن بي، وتشجعني على المضيّ قدمًا، فهمت حينها أن الله لا يأخذ شيئًا إلا ليعوضك بما هو خير وأبقى.

صرت قدوة، صارت كلماتي تُقرأ، ونصائحي تُؤخذ، ووجودي يُلهم وقد سميت نفسي "سفيرة الإيجابية"، لا لأن

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

حيـــاتي كانـــت ســـهلة بـــل لأنهـــا كانـــت موجعة، ورغم ذلك اخترت النور.

وفـــاء لـــم تعـــد ذكـــرى فقـــط بـــل تحوّلـــت إلـــى رمـــزٍ لكـــل مـــا لا يجـــب أن أكونـــه، علّمتنـــي أن الطيبـــة وحـــدها لا تكفـــي، وأن الحـــب يحتـــاج وعيًـــا، وأن الصـــداقة إن لـــم تُـــبْنَ على الصدق، فمصيرها الانهيار.

ســـامحتها داخلـــي، لا لأنهـــا تســـتحق بـــل لأننـــي أســـتحق الســـلام، لكننـــي لـــم أنـــسَ، فالنســـيان خيانـــة أخـــرى، أمـــا الـــذاكرة فهـــي جرحٌ ناعم، لا ينزف، لكنه لا يلتئم

علمتنـــي الحيـــاة أن أكـــون لنفســـي، أن أحبنـــي كمـــا أنـــا، أن أكـــون ســـندًا لنفســـي حين لا أحد.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

واليـــوم أنـــا هنـــا أكتـــب قصـــتي بكـــل وجعهـــا وجمالهـــا، وأهـــديها لكـــل مـــن كُســـرت مـــرة لتنهض ألف مرة

*****

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

قصيدة "حين خانت الطفولة وعدها"

صَغُرَتْ خطانا، والطفولةُ شاهدُ
كنّا نُخبّي السرَّ، لا نتباعدُ
ضحكٌ بريءٌ، حلمُ وردٍ ناعمٌ
والقلبُ طفلٌ، والزمانُ مساعدُ
كُنّا كظلّينِ التقى طيفاهما
لا شيءَ يكسِرنا، ولا نتباعدُ
لبسٌ، مكانٌ، نظرةٌ، وضحاكُمُ
كأنّنا مرآتانِ لا تتباعدُ
لكنّ شيطانَ الغرورِ تملّك الـ
نفسَ التي كانت تفيضُ وتساعدُ
قلّدتِ حُلمي، واستحلّتِ نبضَهُ
وبدا التغيّرُ، والفجوةُ تتزايدُ
شكٌّ، سكوتٌ، غيرةٌ مسمومةٌ
وغدتْ وعودُكِ للوفاءِ تباعدُ

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وذاتَ يومٍ أهديتِني شوكولاتةً

لكنْ بنيةِ خِذلانٍ تُبايِدُ

لمّا تناولتُ الحنينَ بجهلِه

نفسي تهاوتْ، والدموعُ تُجاحدُ

مرّ الزمانُ وقلبيَ المُتَعبُ الذي

قد خانَهُ نبضُ الحياةِ وأُجهِدُ

جاءتْ صديقاتي، وغيبتُكِ سِوى

طعنةِ جُرحٍ في الصميمِ تُعانِدُ

لم تسألي .. لم تدمعي .. لم تُبدِ لي

حتى السلامَ .. فكيف كنتِ تماهِدُ؟

ثمّ اعترفْتِ بسحرِ علبةِ خدعَتي

وأنّ أمّكِ بالخفايا تُباعِدُ

أيُّ الطفولةِ خانها وعدُ الضُّحى؟

وأيُّ قَسَمٍ بالبراءةِ يُعاهِدُ؟

لكنني ما متُّ بل عدتُ التي

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تبني من الشوكِ انتصارًا خالدُ
عدتُ، وقلبي من جراحِكِ أنشأ الـ
سطرَ القوّةِ .. والصمودَ المجدُ
رفعتُ رأسي، والدروبُ شموخُها
من وجعي .. والمستحيلُ يُباعدُ
في كلّ خطوتي انتصارٌ ناعمٌ
ووراء ظهري سيلُ وجعٍ راقدُ
صرتُ القدوةَ، والسفيرةَ إن دعا
اليأسُ قلبي، كنتُ نورًا واحدُ
لا تُخطئي، فالحبُّ ليسَ تقمُّصًا
بل صدقُ روحٍ إن تنادَتْ تُعاودُ
أنا من كتبتُ الفجرَ فوقَ عتمةٍ
ومنحتُ غيري ضوءَ قلبي الصامدُ
وبقيتُ أؤمنُ أنني وحدي أنا
خيرُ السّندِ، وخيرُ دربٍ شاهِدُ

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وفي عُيونِ الناسِ حُبٌّ نابعٌ

من صدقِ فعلي، لا مدارٍ جامدُ

وبقيتُ أمضي .. لا أعودُ لظلّكمْ

أنا من الحياةِ سرُّها المتجددُ

والخيبةُ الكبرى، لهي نارٌ اكتوتْ

لكنّها بالنارِ صُغتُ العقْدُ

علّمتني أني لأجلي أرتقي

وأن الوفاءَ .. إن انتهى يتباعدُ

فوداعًا "وفاءُ".. ما عدتِ كما

كنتِ، وما عدتُ بقلبي أراقدُ

سأظلّ أمضي، والخُطى متقدّماً

أنا للنجاحِ، وللخلودِ الواعدُ.

*****